تقديم

بين أدباء هذه المجموعة وحدة زمنية ، وبينهم كذلك وحدة ـ أو مناسبة ـ فنية .

فكلهم من أدباء اللغة الانجليزية فى العالم الجديد ، مخضرمون بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، نبغوا واشتهروا فى الحقبة التى زالت فيها فواصل العزلة بين العالمين الجديد والقديم .

وأحدثهم مولدا يوچين أونيل ، ولد سنة ١٨٨٨ ، وتوفى سنة ١٩٥٣ ، ونال جائزة نوبل سنة ١٩٣٦ ، وهو الثانى من الأدباء الأمريكيين الذى ينال هذه الجائزة العالمية ، وأولهم سنكلر لويس نالها قبله بست سنوات (١٩٣٠) فنظر مؤرخو الأدب الى هذا الحادث من ناحيته التاريخية فى هذا المقام قبل أن ينظروا اليه من ناحيته الفنية ، لأنه كان احدى علامات الزمن على وحدة الميدان الثقافى بين أرجاء العالمين .

وأسبق هؤلاء الأدباء الخمسة مولدا من أصل نرويجى مهاجر ، ولد سنة ١٨٥٧ ، وتوفى سنة ١٩٢٩ ، وكان كتابه الذى اشتهر به نقدا اجتماعيا للمجتمع الأمريكى على الأسس العالمية ، وهو ثبلن مؤلف كتاب « نظرية الطبقة الفارغة » .

أما الوحدة الفنية بين هؤلاء الأدباء الخمسة فهى أحرى أن تسمى بالمناسبة الفنية ، لأن الأدباء هنا لايتحدون فى موضوع الكتابة ، ولكنهم يتممون موضوعات الأدب كلها متفرقين ، اذ كان منهم الشاعر ، وكاتب المسرحية ، ومؤلف الرواية المطولة ، ومؤلف القصة القصيرة ؛ وصاحب البحوث الاجتماعية . وقد غلب على البحوث الاجتماعية أنها تعتبر بابا من أبواب العلم فى عصرنا الحديث ، ولكنها عولجت بقلم كاتبها فى هذه

المجموعة على نحو أقرب الى أساليب الأدباء ، بما اشتمل عليه من صبغة الهجاء الاجتماعى ، وروح الفكاهة ، وطرائف التعبير .

ولكن المجموعة ـ على هذه الخصوصية فيها ـ قد حافظت على صبغتها العامة التى اتسمت بها أخواتها من قبل ، وهى الصبغة « الانسانية » التى لاتنحصر فى زاوية واحدة من زوايا الجيل أو الجهة ، وأقل ما تتطلع اليه من سعة الأفق أن تتسع للمراجعة فى جيلين .

فالشاعر روبنسون ينظم قصيده الغنائى وأقاصيصه الشعرية ليتحدث عن « الشخصية الانسانية » الى الشخصية الانسانية ، ولا يخطر لقارئه مرة أن انسانه الذى يعبر عنه يمكن أن يغيب بملامحه ، أو بذاته المميزة ، فى غمار النكرات بغير سمات وبغير أسماء !

والكاتب المسرحى « أونيل » يعرف الانسان فى اللحم والدم والروح والضمير ، ويأبى أن يعرف الانسان المجرد Abstract man معنى من المعانى التى يطويها اسم الجنس فى كلمة واحدة تطلق على جميع أبناء آدم وحواء .

والكاتبة « الن جلاسجو » تكتب على الأكثر عن أبناء طبقتها فى الولايات الجنوبية ، ولكنها تمزق براقع الرياء « الاجتماعى » عن وجوههم فاذا هو ضعف الانسان الذى يستتر وراء كل قناع ، وقد يستتر مثله من الضعف وراء كل قناع يتوارى خلفه الناس من غير هذه الطبقة ، وان اختلف لون القناع ونسيجه أمام الناظر اليه .

وثبلن صاحب كتاب « نظرية الطبقة الفارغة » يكتب بحثه الممتع عن احدى الطبقات ويخيل اليه أنه يرسمها بأطوارها التى لا تعدوها ، ولكنه ينتهى بهذه الأطوار المحدودة الى « خصلة بشرية » تعترى كل انسان وتتكرر مع أسبابها فى كل حقبة ، فلا ترتبط بمكانها الذى أقرها فيه من دولاب التاريخ .

وأقربهم الى الطائفية المحدودة « لاردنر » الذى ولد سنة ١٨٨٥ وتوفى سنة ١٩٣٣ وقصر كتابته على طائفة اللاعبين الرياضيين خلال فترة

محدودة من أوائل القرن العشرين ، ولكن اللاعب الرياضى الذى يصوره للقارىء يذكره بتلك التماثيل المجردة من بقـــايا فنون الاغريق واللاتين يراها أمامه عارية من كل كساء ينسبها الى قوم أو زمن ، خالية من كل شية تنم عليها غير حركات الأجسام التى تعتدل وتميل مع اللعبـة التى يلعبونها ، وغير سمات الوجوه التى قد تنبىء الناظر عن نسبتها الى وطنها وأوانها .. فهذا مصارع ، وهذا قاذف قرص ، وهذا فارس ، وهذا عداء . وقد نعرف الرومانى منهم أو اليونانى ، كما نعرف الفتى منهم والكهل ، والجسيم منهم والنحيل ، ولكنها على الجملة علامات انسانية لايتخلون عنها ولا تتخلى عنهم ، فلا يخرج التمثال من صورته الانسانية أنه يدل على طفل أو يدل على وطن محدود ، ولا تخرجه الطفولة أو النسبة الوطنية عن تكوين الكائن الآدمى حيث كان .

وهكذا ترتسم لنا صور اللاعبين الرياضيين ومن يلوذ بهم من عشاق الرياضة بين أبطال الكاتب الصحفى وبطلاته . فكلهم من وراء ظواهره العرضية تمثال مجرد كما يكون كل لاعب فى مكانه وفى مثل دوره ، وان لم يكن على ذلك الطراز المأثور عن فنون الاغريق والرومان .

ومن أكرم وظائف الأدب الحى أنه يقف بقارئه على هـــذا الخضم الواسع من آثار المئات بعد المئات من نوابغ المعبرين والمصورين ، فيريه أن الصدق أقدر من الكذب على الاختلاف والتنويع فى تصوير الحيـــاة الانسانية ، لأن هذه الحياة أوسع وأعمق من أن تقصر فيها آماد الحقائق المتجددة عن آماد الأباطيل .

عباس محمود العقاد